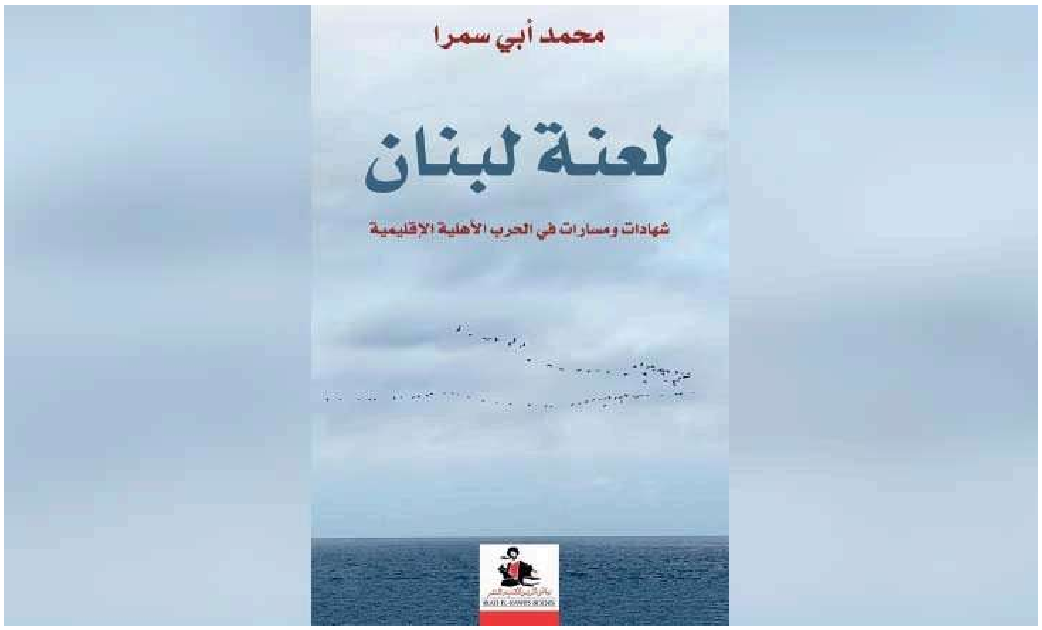
# كتاب «لعنة لبنان» لمحمد أبي سمرا: تعددية السرد في تفكيك آليات الخراب

منذ 18 ساعة




في صفحات كتاب «لعنة لبنان»، للكاتب محمد أبي سمرا، الصادر عام 2025 عن دار رياض الريس، يجد القارئ نفسه محاصراً بين ما يشبه الهمس والصرخة، بين السرد التاريخي وشهادة الذاكرة. لا يقدم لنا مجرد سرد للحرب الأهلية اللبنانية، بل يغوص في تفاصيلها الدقيقة، في الانكسارات التي تشق جسد المجتمع اللبناني، كما تشق الريح صدع الزجاج. هنا، التاريخ لا يأتي محايداً، بل مشحوناً بالشخصيات، بالخيارات الصغيرة والكبيرة، بالأخطاء التي تتراكم حتى تصنع «لعنة» لا تفارق المكان والزمان.

مساحة ملتبسة

أسلوب أبي سمرا يحاكي تلك الكتابة التي تعكس الصمت، حيث لا تحتاج الأحداث إلى مزيد من التوضيح، لأن الواقع نفسه صار شديد الوضوح. تتجلى الحرب في كتابه ككائن حي، يتحرك في الممرات الضيقة للمدن،

بين الوجوه والأسماء، لكنه في الوقت ذاته كظل طويل يمد ذراعه على الأجيال القادمة. لا يهمه أن يضع القارئ في مقعد المحلل السياسي وحده، بل في قلب التجربة الإنسانية، حيث الخوف والخيبة والانتظار تتقاطع مع لحظات قصيرة من الحنان، أو من الصداقة العابرة، أو من الخيانة الصامتة. فالكتاب ليس اعترافا صرفا ولا وثيقة جامدة، إنه مساحة ملتبسة، يتناوب فيها الصوت الفردي مع صدى الجماعة. كل صفحة تتحرك بين حدود الشهادة والتحليل، بين انكسار الذات أمام لحظة شخصية، وانكسارها الأكبر في مرآة المأساة العامة. الكاتب هنا أشبه ببهلوان على حبل مشدود: شاهدٌ يتأمل الدم المسفوك، محللٌ يحاول تفكيك آليات الخراب، وشاعرٌ يطارد ظلَّ خلاصٍ لا يصل، مثل عطشان يتبع خيط ماءٍ لا وجود له.

سيرة جيل الستينيات والسبعينيات

ومن هذه العتبة يدخل أبي سمرا إلى سيرة جيل الستينيات والسبعينيات، ذلك الجيل الذي حمل السلاح قبل أن يعرف لمن أو ضد من. في لحظة اعترافه، يتبدى السلاح لا كأداة دفاع بل كجسد غريب ملتصق بكتفه. كان يشعر بأن العيون التي تراقبه من الأزقة تحكم عليه بالصمت، وأن البندقية في يده تحيله إلى شخص آخر لا يعرفه. لم تكن القوة ما يخيفه، بل مهانته أمام نفسه، حين يكتشف أنه غريب حتى عن السلاح الذي يحمِله. يمكننا القول إن «لعنة لبنان» ليس مجرد وثيقة، بل نص مفتوح على الأسئلة الكبرى: ما معنى العدالة في مجتمع ممزق؟ كيف يمكن للذاكرة الفردية أن تصنع الرواية الجماعية؟ كيف تتبدل الحقيقة مع مرور الزمن؟ أبي سمرا يتركنا نلاحظ التفاصيل الصغيرة: طاولة متصدعة، صورة عائلية مشوهة، شارع لم يعد له صاحب، وكأن هذه الأشياء وحدها تحمل ما يكفي من الدلائل لتروي التاريخ.

السرد الشخصي والتحليل الاجتماعي والسياسي

الكتاب أيضاً يحاول التوفيق بين السرد الشخصي والتحليل الاجتماعي والسياسي، بين الشهادات والوثائق، بطريقة تجعل القارئ يشعر بأن الحرب ليست مجرد أحداث أو أطراف، بل شبكة معقدة من العلاقات الإنسانية، من الأمل الذي يُستنزف ببطء، ومن الأحقاد التي تتوارث عبر الأجيال. هنا يكمن ذكاء أبي سمرا: إنه لا يحاول أن يضع حداً لما حصل، بل يفتح الطريق أمام القارئ ليقرأ اللعنة في نفسه، في مكانه، في ذاكرته، قبل أن يقرأها في لبنان. وفي هذا السياق، يمكن القول إن الكتاب يحررك من وهم الفهم الكامل، ويتركك مع السؤال الأزلي: كيف يمكن للبشر أن يعيشوا بعد الحرب، وكيف يمكن للمجتمعات أن تتعافى من لعنتها الخاصة؟

قراءة أبي سمرا هي دعوة للتمعن، للانصات، لفهم أن الحرب ليست مجرد تاريخ يُروى، بل تجربة شخصية وجماعية، حية في تفاصيلها، غائرة في أوجاعها، تتجاوز الزمن والمكان لتترك أثرها في كل من يعيش على هذا الساحل الذي علّق فيه لبنان بين النور والظل، بين الحب والدمار.

همس طويل في أذن الزمن

تبدأ مقدمة محمد أبي سمرا للكتاب كمرثية لبلاد الركام والندم، كأنها همس طويل في أذن الزمن، يسأل: هل يتوقف البشر عن التكرار؟ وهل يتوقف لبنان عن اجترار حروبه الأهلية والإقليمية؟ منذ عام 1975، وخلال عقد ونصف العقد من الحرب المباشرة، وحتى توقيع اتفاق الطائف عام 1989، ظل لبنان كجسد مشوَّه بين القِوى المحلية والإقليمية، تتحكم فيه غرائز طائفية متوارثة.

أبي سمرا يسلط الضوء على الازدواجية البنيوية في الحياة اللبنانية: كيف أن مركب الحرب، رغم حضوره القوي في الاجتماع والسياسة واللغة والعمران، ظل هامشيّا في الفهم والتحليل، كما لو أن اللبنانيين يعيشون بين ما هو محسوس، وما هو غير مفهَم، بين الماضي الثقيل والحاضر المتوتر. هذا المركب ليس مجرد إرث سياسي، بل لعنة تاريخية متوارثة،

تفرض نفسها على كل لحظة عيش، على كل علاقة، على كل حيّ، كما لو أن الحرب تتنفس مع اللبنانيين بلا توقف.

## تجاور الهويات قبل الحرب

المقدمة تفتح لنا رؤية اجتماعية دقيقة: قبل الحرب، كانت الجماعات الطائفية تتجاور في المدن والدوائر السكنية، ويخلق التعارف الأهلي والبلدي ما يشبه نسيجا مرنا من الهويات المتعددة. لكن التوسع العمراني والاختلاط المتزايد بين الفئات الاجتماعية، لم يمحُ الهويات، بل دفنها، وجعلها مترسِّبة وكامنة. وعند اندلاع الحرب، ظهرت هذه الترسبات معكوسة: انفجرت الهويات المكتومة، واضطرب الاختلاط، وتحولت العلاقات السياسية إلى مناكفات وصراعات عنيفة، لتصبح الانتقامات والثارات جزءا حيًّا من الذاكرة الجماعية.

أبي سمرا لا يكتفي بالوصف الاجتماعي والسياسي، بل يضع هذه الظواهر في سياق نظرية النظام السياسي اللبناني المتصلب، مستعينا بنقد وضاح شرارة، الذي يرى أن إرث الحرب تحوّل إلى «نظام سياسي» متصلب، صعب الإصلاح، أو يتطلب «معجزة حقيقية». وهو يربط هذا الواقع بالثقافة والفنون، مستحضرا أحمد بيضون ومحمد العبدالله، ليظهر أن التكرار والعجز الاستحالي أصبحا جزءا من التجربة اللبنانية اليومية، وأن الحرب لم تزل حاضرة حتى في الكلام اليومي، وفي العلاقات الصغيرة، وفي الأعراف الاجتماعية.

## أهمية التاريخ التحتي

يؤكد أبي سمرا أهمية التأريخ التحتي: أن نرصد الحياة اليومية، الذكريات الفردية والجماعية، الشهادات والسير الشخصية، لتكوّن مادة مكثفة يمكن أن تكشف عن مسارات الحرب الحقيقية، عن انعكاسها على الجماعات واللغة والعمران، وعن الأثر النفسي والاجتماعي الطويل. والكتاب يقدم هذا النوع من التأريخ الحيّ، مستعرضا أشكالاً متعددة

من السرد: شهادات فردية، شهادات تقاطع الفرد والجماعة، شهادات مركبة لجيل كامل، ومسارات الحرب والتحولات التي أصابت المجتمع.

ما يميز الكتاب، هو المزج بين التأمل الشخصي والتحليل الاجتماعي، بين السرد الحميمي للشهادة الفردية ورؤية المؤرخ/الناقد للتغيرات البنيوية في المجتمع اللبناني، وبين الصمت الممتد للحرب والذاكرة، وبين السؤال الأبدي عن إمكانية التعافي أو التكرار المستمر. هنا، الكتاب ليس مجرد توثيق للحرب، بل تجربة فلسفية ووجودية في فهم لبنان، حيث اللعنة ليست حدثا تاريخيا فحسب، بل حالة مستمرة من الحياة والوعي.

الخلاصة أن الكتاب ليس عن حرب مضت، بل عن حرب لم تنتهِ بعد، تتنفس في تفاصيل الحياة اليومية. محمد أبي سمرا يضعنا أمام مرآة مشروخة، نرى فيها الذاكرة وقد صارت لعنة جماعية. الحرب ليست حدثا تاريخيا بل نظام قائم، ينساب في السياسة والعمران واللغة. الشهادات الفردية تكشف أن الخراب ليس في المدن فقط، بل في وعي الأجيال. «لعنة لبنان» هو تأريخ تحتي للزمن، حيث الماضي يصرّ على إعادة نفسه بلا نهاية.

يتوزع هذا الإصدار على ثمانية فصول إضافة للمقدمة: الفصل الأول: طائفيّة هزليّة.. رعب مسيحيّي حارة حريك، الفصل الثاني: شهادة ملازم في «الصاعقة» عن حرب السنتين، الفصل الثالث: مشاهد الهروب المسيحي الأخير من المريجة، الفصل الرابع: الثمانينيات: عشريّة لبنان السوداء، الفصل الخامس: أسير في معتقلَي أنصار وعتليت الإسرائيليين، الفصل السادس: المسدس والقرآن... أختان في بيروت الثمانينيات، الفصل السابع: فتيان الجنوح في حرش القتيل، الفصل الثامن: مصائر مأساوية للاختلاط الطائفي.

كاتب عراقي

## كلمات مفتاحية

كتاب لعنة لبنان | محمد أبي سمرا | مروان ياسين الدليمي

## اتركِ تعليقاً

لن يتم نشر عنوان بريدك الإلكتروني. الحقول الإلزامية مشار إليها بـ *

التعليق *

الاسم *

البريد الإلكتروني *

إرسال التعليق